جامعة الأزهر الشريف
كلية اللغة العربية ـ القاهرة
قسم البلاغة والنقد

التوكيد المعنوي في الذكر الحكيم

مقاماته ـ أسراره

تأليف
دكتور / إبراهيم صلاح الهدهد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م



مُقَدِّمَة

اللهم إني أسألك أن تفتح لـــي مغـــاليق كلامـــك، وأن ترزقني استجلاء بيانك، وأن تجعل خاتمتي علـــى ذلـــك،وأن ترضِّيني بقضائك،وأن تجعل الخير لي في قـــدرك حتـــى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت، وصـــل اللهـــم على صفوة خلقك، السراج المنيـــر، وارض عـــن الـــصحابة الأخيار، وآل البيت الأطهار، والأسلاف الأبرار، وشـــيوخنا ومن علمونا،فإنك خير مقصود، وأكرم مورود، وبعد :

فهذا بحث في بلاغة الذكر الحكيم، يبحر بقيد التوكيـــد المعنوي في رياضه، يستشرف مقاماته، وأسراره، ويحـــاول الكشف عن علاقة التوكيد المعنوي بمعاقد السياق، ومقاصـــد السور، واقتضاء السياق والمقام له ووفائـــه بحقهمـــا، وقـــد وطّأت للبحث ببيان دلالة ألفاظ التوكيد المعنوي الواردة فـــي الذكر الحكيم، وحديث جملي للنحاة عن التوكيـــد المعنـــوي، والضوابط التي وضعوها للمؤَكَّد والمؤكِّد،وأغراض التوكيـــد عند اللغويين والنحاة، ومكانة القيود من الـــدرس البلاغـــي، وبيان أن فقه بلاغة القيود من أركان النظم عند الشيخ عبـــد القاهر، ومتابعة البلاغيين إياه على ذلك، وحديث الشيخ عبـــد

القاهر عن التوكيد المعنــوي، وجمعــت الآيــات موضـــوع البحث، ومجموعها (٣٩) تسع وثلاثون آية.

وقد اصطفيت المنهج التحليلي، محاولا إبصار القيد في السياق الخاص للآية الوارد فيها، والــسياق العــام للــسورة والذكر الحكيم، مراعيا حال النزول، لما لفقه ســياق الحــال والمقال من أثر بالغ في التعرف على البلاغة عامة، والبيــان القرآني خاصة، ومن حيث تقسيم البحث جعلت المقامات التي وردت فيها القيود أصلا في تقسيم البحــث، إذ المقــام هــو الداعي إلى ورود التراكيب على هيئة مخصوصة؛ وفاء بحق المقام، وقد جاء القيد بالتوكيد المعنوي في سبعة عشر مقاما، وذيلت البحث بخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجــع، وآخــر للموضوعات، والله أسال أن يتجاوز عني فيمــا لــم يبلغــه فهمي، وأن يغفر لي ما زل فيه قلمي ولم يكن إليه قــصدي، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته.

كتبه

إبراهيم صلاح الهدهد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

تمهيد

لم يرد في الذكر الحكيم من ألفاظ التوكيد المعنوي إلا (كل ــ أجمع) وقد فصلت المعاجم اللغوية القول في دلالاتهما.

دلالة كل: قال ابن فارس: " فأما كل : فهو اسم موضوع للإحاطة، مضاف أبدا إلى ما بعده [1] " والكل ــ بالضم ــ اسم لجميع الأجزاء للذكر والأنثى" [2] " والكل : اسم يجمع الأجزاء، يقال: كلهم منطلق، وكلهن منطلقة، الذكر والأنثى في ذلك سواء،. . . قال الجوهري : كلٌّ لفظ واحد ومعناه جمع . . . وقال أبو الهيثم: تقع كل على اسم منكور موحد فتؤدي معنى الجماعة، كقولهم : ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء تمرة"[3]

دلالة أجمع : قال ابن فارس : " الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشئ، يقال:جمعت الشئ جمعا [4]

([1]) مقاييس اللغة لابن فارس ٥/١٢٢ط ،دار الجيل بيروت ١٩٩١م.

([2]) القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤/٤٦، ط دار الجيل ،بيروت ،دون تاريخ .

([3]) لسان العرب ، لابن منظور ٤/ ٣٩١٧ط ،دار المعارف .ومختار الصحاح للرازي ٢٦٤، تقديم د/ عبد الفتاح البركاوي ، ط، دار المنار ،دون تاريخ .

([4]) مقاييس اللغة ١/٤٧٩

"والجمعاء . . . تأنيث أجمع وهو واحد في معنى جمع، وجمعه أجمعون، وهو توكيد محض"[1] "وأجمع من الألفاظ الدالة على الإحاطة . . . وأجمعون جمع أجمع، وأجمع واحد في معنى جمع، وليس له مفرد من لفظه والمؤنث جمعاء"[2] "وجميع وأجمع وأجمعون يستعمل لتأكيد الاجتماع على الأمر"[3]

<u>التوكيد المعنوي عند النحاة</u> : هو التابع الرافع احتمال إرادة غير الظاهر [4] وهو يؤكد المعنى في نفس السامع، ويثبت الحقيقة ويرفع المجاز، وقد ذكر النحاة أن التوكيد المعنوي له سبعة ألفاظ (النفس ــ العين ــ كلا ــ كلتا ــ كل ــ جميع ــ عامة) كما ذكروا أنه إذا أريد تقوية التوكيد أن نتبع كله بأجمع، وكلها بجمعاء، وكلهم بأجمعين، وكلهن بجُمَع، وقد يؤكد بهن، وإن لم يتقدم كل [5] وحصرها في ألفاظ سبعة

([1]) القاموس المحيط ١٥/٣.

([2]) لسان العرب ٦٨٢،٦٨٣/١.

([3]) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٩٧ تحقيق: محمد سيد كيلاني ، ط، مصطفى الحلبي ١٩٦١م.

([4]) شرح الأشموني ٧٣/٣ ط ، عيسى الحلبي ، دون تاريخ.

([5]) أوضح المسالك لابن هشام ٣٢٧/٣ وما بعدها، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية ،بيروت دون تاريخ.

مبني على المشهور، وهذا الحصر لاينافي أن هنـــاك ألفاظـــا غيرها تستعمل أحيانا في التوكيد المعنوي، ولكنها لم تـــشتهر [١] وقد ذكر سيبويه أن أجمعون لايجري في الكلام إلا علــــى اسم، ولايعمل فيه ناصب ولا رافع ولا جازم ولا يكون فــــي الكلام إلا صفة [٢] وقد نازعه كثير من النحاة وذكروا أجمـــع وجمعاء وما يتبع ذلك من بقيته إنما هو اتفاق وتـــوارد فـــي اللغة على غير ما كان في وزنه منها لأن باب أفعل فعـــلاء إنما هو للصفات وجميعها يجيئ على هذا الوضـــع نكـــرات نحو: أحمر حمراء وهذا ونحوه صفات نكرات، فأمـــا أجمـــع جمعاء: فاسمان معرفتان وليسا بصفتين، فإنما ذلك اتفاق وقع بين هذه الكلمة المؤكَّد بها [٣]

ضوابط إجراء هذه الألفاظ على التوكيد :

١ــ اشترط النحاة لإجراء هذه الألفاظ على التوكيد أن تتصل بضمير يطابق المؤكَّد .

---

(١) عدة السا لك ٣٢٧/٣ الشيخ محمد محيي الـــدين عبـــد الحميـــد ، ط المكتبـــة العصرية ، دون تاريخ.

(٢) الكتاب ٣٧٩/٢،٣٣٤ تحقيق عبد السلام هـــارون،ط، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، ١٩٨٢م.

(٣) ينظر : لسان العرب ٦٨٢/١، ومختار الصحاح ٢٦٤.

٢ــ أن يكون المؤكد معرفة .

٣ ــ يجب في النفس والعين إذا أكد بهما أن يكونا مفــردين مع المفرد، مجموعين مع الجمع .

٤ــ أن يكون (كل ــ كلا ــ كلتا) توكيدا لجملة،أو ما هــو في حكم الجملة مما يتيقن؛ لأن موضوعه الإحاطة من حيــث كان لفظه مأخوذا من لفظ الإكليل والكلة والكلالة مما هو في معنى الإحاطة [١]والخلاصة أنه لا يؤكد بهذه الألفاظ إلا ماله أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه [٢] في نسبة الحكــم إليــه سواء كان على وجه إرادة البعض من لفــظ الكــل مجــازا مرسلا، أو إسناد ما للبعض إلى الكل مجازا عقليا، أو تقديرا لمضاف [٣] وكل إذا تقدمت تقتضي الإحاطة بــالجنس، وإذا تأخرت وكانت توكيدا اقتضت الإحاطة بالمؤكّد خاصة جنــسا شائعا كان أو معهودا معروفا.

([١]) ينظر أوضح المسالك ٣/٣٢٨وما بعدها وشذور الذهب لابن هــشام ٤٢٩ ط، المعاهد الأزهرية،دون تاريخ، ونتائج الفكر للسهيلي ٢١٦ تحقيق: علــي معــوض وعادل عبد الموجود ،ط،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٩٢م.

([٢]) شرح الأشموني ٣/٧٥.

([٣]) حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣/٧٥.

أغراض التوكيد المعنوي عند اللغويين والنحاة:

تحدث أبو عثمان بن جني عن التوكيد المعنوي عقب حديثه عن الحذف كاشفا عن سره في البيان حيث يقول :" فجميع وما نحن بسبيله مما أحضرناه، أو نبهنا عليه فتركناه شاهدا بإيثار القوم قوة إيجازهم، وحذف فضول كلامهم، هذا مع أنهم في بعض الأحوال قد يمكنون ويحتاطون وينحطون في الشق الذي يؤمون [(١)] وذلك في التوكيد نحو جاء القوم أجمعون وأكتعون وأبصعون وأبتعون . . . وقيل لأبي عمرو : أكانت العرب تطيل؟ فقال : نعم لتبلغ، قيل : أفكانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها" [(٢)]

وقد تنوعت أغراض التوكيد المعنوي عند النحاة بتنوع اللفظ كما يلي :

١ــ رفع المجاز عن الذات، وتقرير أمر المتبوع في النسبة، وذلك إذا كان التوكيد بأحد هذين اللفظين (النفس ــ العين)

---

(١) ينحطون في الشق الذي يؤمون : أي : يجتهدون فيه ويبذلون فيه وسعهم ،من قولهم : انحطت الناقة في سيرها، أسرعت ، وانحط في هوى فلان : سارع في إرضائه . ينظرتعليق الشيخ محمد علي النجار على الخصائص١/٨٤.

(٢) الخصائص لابن جني ١/٨٤،٨٣ تحقيق الشيخ: محمد علي النجار ،ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

٢ــ رفع احتمال تقدير بعض مضاف إلى المتبوع، وتقريـــر أمر المتبوع في الشمول ، وذلك إذا كان لفظ التوكيد واحـــدا من (كلا ــ كلتا ــ كل ــ جميع ــ عامة) ويمكـــن إجمـــال أغراض التوكيد عند اللغويين فيما يلي :

١ــ التمكين ٢ــ الاحتياط ٣ــ الاجتهاد في إثبات المعنى .

ولكل غرض من هذه الأغراض مقامات يقتضيها، وســياقات يجري فيها .

مكانة القيود من الدرس البلاغي

اجتهد البلاغيون في التنظير لأسرار ركني الجملة وبعض متعلقات الفعل، ولم ينظروا للأسرار البلاغية للقيود التي تزخر بها الجملة العربية اسمية كانت أو فعلية مع أن الشيخ عبد القاهر – بل الله ثراه – قد جعل ما يتعلق بركني الجملة الفعلية والاسمية أصلا من أصول النظم ، يحتاج الناظر في الكلام إلى البصيرة به، والوقوف على أسراره، وقد جعل الحديث عن تعلق الكلم بعضه ببعض مدخله لفقه النظم، حيث قال : " معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث : اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو ثلاثة أقسام : تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما، فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه أو تابعا له صفة أو تأكيدا أو عطف بيان أو بدلا أو عطفا بحرف . . . " [1]

وقد حمل – رحمه الله – على من زهد في النحو وصغر أمره، وضرب مثلا بما ينبغي علمه من المعاني

(1) دلائل الإعجاز ٤ تحقيق العلامة محمود شاكر ، الخانجي ١٩٨٤م.

والأغراض الكامنة وراء القيود التي تحيط بركني الجملـــة، وبين أنه لا يكفي العلم بأن الصفة تتبع الموصوف، والتمثيل لذلك، وإنما الواجب أن نعلم " أن وراء ذلك علما وأن هاهنـــا صفة تخصص، وصفة توضح وتبين، وأن فائدة التخــصيص غير فائدة التوضيح، كما أن فائدة الشياع غير فائدة الإبهـــام، وأن من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص، ولا توضــيح، ولكن يؤتى بها مؤكدة" [1] وأنه ينبغي أن يعرف الفرق بـــين الصفة والخبر، وبين كل واحد منهما، وبين الحال، وأن هـــذه الثلاثة (الصفة ــ الخبر ــ الحال) تتفق في أن كافّتها لثبوت المعنى للشئ، وأن الاختلاف في كيفيـــة ذلـــك الثبـــوت [2] والبلاغي البصير هو من يستطيع الكشف عن قدرة المبـــين على اصطفاء طريق الثبوت ووفائه بحق المقام الـــذي ورد فيه.

---

(1) دلائل الإعجاز ٣١،٣٠ .

(2) السابق ٣١.

أكد الشيخ ــ رحمه الله ــ على أن النظم في العلائــق النحوية بين الكلم، وهو يفترض أن الناظم الصناع هو مــن أحاط خبرا بكل باب من أبواب النحــو، وأبــصر الفارقــات الكائنات في كل باب، ثم اصــطفى مــن بينهــا مــا يفــي بغرضه،ويوائم مقامه، يقول الشيخ :" اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحــو، وتعمــل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشئ منهــا، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فــي وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجــوه التــي تراها في قولك : زيد منطلق ــ زيــد ينطلــق . . . وفــي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، إن تخرج فأنــا خــارج . . . وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جــاءني زيــد مسرعا، وجاءني زيد يسرع . . . فيعرف لكــل مــن ذلــك موضعه، ويجيئ به حيث ينبغي له، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك

المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه . . . هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه،أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه" [1] وهذا يعني أن كل العلائق النحوية الكائنة في الكلام ، والشاملة كل أبواب النحو أصل في دراسة النظم لامحيص لدارس بلاغة الكلام من إبصاره واستكناه أسراره، وفقه مراميه .

(1) دلائل الإعجاز ٨١:٨٣.

أصل عام في فقه بلاغة القيود

وضع الشيخ عبد القاهر أصلا عاما لدراسة القيود، وهو يتحدث عن الفروق في الخبر حيث قال : " وأول ما ينبغي أن يعلم منه أنه ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه ،وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له، فالأول: خبر المبتدأ . . . والثاني:هو الحال . . . وذاك لأن الحال خبر في الحقيقة من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحال، كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ، وبالفعل للفاعل ألا تراك قد أثبت الركوب في قولك (جاءني زيد راكبا) لزيد إلا أن الفرق أنك جئت به لتزيد معنى في إخبارك عنه المجيئ ، وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ولم تجرد إثباتك للركوب ولم تباشره" [١]

وقد بين الشيخ أن في القيود زيادة في الفائدة، وقد يكون القيد أصلا في الفائدة، وقد تابع البلاغيون الشيخ في هذا الأصل في دراسة القيود، فالسكاكي يرى أن المراد من التقييد تربية الفائدة، ويرى الخطيب أن تقييد الفعل بمفعول ونحوه لتربية الفائدة، وترك تقييده لمانع من تربية الفائدة،

([١]) دلائل الإعجاز ١٧٣

وتابعه الشراح في ذلك، ونبهوا على أن كثرة الخـصوصيات تقتضي كثرة القيود، وكثرة القيود تقتـضي كثـرة الفوائـد، والحكم كلما ازداد خصوصا ازداد غرابـة، وكلمـا كثـرت غرائبه بكثرة القيود كثرت فوائده [1] وقد اعترض العـصام على كون التقييد بالمفعول به لتربية الفائدة، ورأى أنه أصل في الفائدة، حيث قال: " ثم في كون التقييد بالمفعول به لتربية الفائدة نظر، بل يتوقف فهم الفعل عليه كتوقفه على الفاعـل" [2] ويرد على ذلك بجريان حذف المفعول به في البيان العلي المعجز والبيان العالي النبوي والبيان البشري، ولو أن الفهـم يتوقف على ذكره لما جاز حذفه، والحق في ذلك أن المفعول به قد يكون في تراكيب أصلا في الفائدة، وقـد يكـون فـي تراكيب أخرى لتربية الفائدة شأنه شان القيود كلها .

([1]) ينظر المفتاح ٢٠٩ للسكاكي تحقيق نعـيم زرزور، ط دار الكتـب العلميـة، بيروت ١٩٨٣م، تلخيص المفتاح٢/٣١وما بعـدها ، ومختـصر الـسعد ٢/٣٢، وعروس الأفراح ٢/٣٣ ، ومواهب الفتاح ٢/٣٣ كلها مطبوعة (ضمن شـروح التلخيص) ط دار الكتب العلمية بيروت دون تاريخ ، وفـيض الفتـاح للخطيـب الشربيني ٢/٤٥،٤٦ ط مدرسة والدة عباس الأول ١٩٠٨م

([2]) الأطول للعصام ١/١٧٣.ط المطبعة السلطانية ١٢٨٤هـ .

حديث الشيخ عبد القاهر عن التوكيد المعنوي

تحدث الشيخ عبد القاهر عن التوكيد المعنوي في معرض تأكيده على فائدة القيود، وأنها تكون محط الفائدة، واستدل لذلك بأن النفي والإثبات يكون موجها إلى القيد، وقد تأول د/ الخضري كلامه على أنه أغلبي في اللسان العربي، وأكد ما ذهب إليه في تأويل كلام الشيخ بالشواهد القرآنية التي ورد القيد فيها بالحال [1] وقد تحدث الشيخ على لفظة (كل) كاشفا عن أنها تأتي قيدا، وتكون محطا للفائدة وأن النفي والإثبات يتوجه إليها " فإذا قلت : رأيت القوم كلهم، ومررت بالقوم كلهم ، كنت قد جئت بـ (كل) لئلا يتوهم أنه قد بقي عليك من لم تره ولم تمرر به، وينبغي أن يعلم أنا لا نعني بقولنا : يفيد الشمول أن سبيله في ذلك سبيل الشيئ يوجب المعنى من أصله، وأنه لولا مكان (كل) لما عقل الشمول ، ولم يكن سيق من اللفظ دليل عليه . . . وإذ قد عرفت ذلك فهاهنا أصل، وهو أنه من حكم النفي إذا دخل على كلام، ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه

([1]) ينظر : من أسرار القيد بالحال في النظم القرآني ٨ وما بعدها د/ محمد الأمين الخضري ، بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد الحادي عشر ١٩٩٣م.

أن يتوجه إلى ذلك التقييد، وأن يقع له خصوصا، تفسير ذلك أنك إذا قلت : أتاني القوم مجتمعين كان نفيه ذلـك متوجهـا إلى الاجتماع الذي هـو تقييـد فـي الإتيـان دون الإتيـان نفسه . . . وإذا كان هذا حكم النفي إذا دخل على كلام فيـه تقييد، فإن التأكيد ضرب من التقييد، فمتى نفيت كلامـا فيـه تأكيد فإن نفيك ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصا ويقع له" (١) ثم بين أن الإثبات كالنفي في ذلك، وذلـك أنـك إذا قلـت : جاءني القوم كلهم كان **(كل)** فائدة خبرك هذا، وبين أن ذلـك أمر كائن في كل قيد، حيث قال : " وجملة الأمر أنه ما مـن كلام فيه أمر زائد على مجرد إثبات المعنى للشيئ إلا كـان الغرض الخاص من الكلام، والذي يقصد إليه ويزجى القـول فيه" (٢)

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٧٩.

(٢) دلائل الإعجاز ٢٨٠ .

منهج في دراسة بلاغة القيود

هذا وكلمة البلاغيين الجامعة التـــي نــصت علـــى أن القيود لتربية الفائدة تحتاج تفصيلا وشرحا لكل تركيب وبيان زيادة الفائدة وراء كل قيد، فلكل قيد في كل تركيب زيادة في الفائدة خاصة به، وهذه الزيادة تحتاج إلى نص عليها، وبيان للمقام الذي اقتضاها، والسياق الذي اصطفاها، ممـــا يجعـــل دائرة دراسة القيود تنداح بانـــدياح النـــصوص وغزارتهـــا وتنوعاتها، وتشكلها بمقامها وسياقها، ولو أننا أبصرنا القيـــد بالحال في ديوان شاعر، أو كـــلام نـــاثر، أو لغـــة فقيـــه،أو موضوع من موضوعات الأحاديث النبويـــة،أو كتـــاب مـــن الكتب، كأن ندرس القيد بالحال ،وأسراره البلاغية في موطأ الإمام مالك، أو في الأدب المفرد للبخاري أو في حديثـــهﷺ عن الصلاة أو عن الصدقة أو عن الجهاد أو غير ذلك لكـــان درسا بلاغيا جديدا يضيف إلى تنظيرات البلاغيين تنظيرات أسست على بصيرة من فقه البيان العالي، قل ذلك في كل قيد أو موضوع أو بيان، وهو مما يجب أن تطمـــح إليـــه همـــة الباحثين، ويمكن أن نصطنع منهجا لدرس القيود في البيـــان العربي يقوم على دعائم منها :

١ــ دراسة القيد من حيث دلالته اللغوية، وذلــك بإبــصار الدلالة اللغوية للقيد، وكيف اصطفي لفظ القيد على سواه مما يقاربه لغة، كأن يطرح سؤال فــي القيــد (ولا تعثــوا فــي الأرض مفسدين) (الأعراف/٧٤) وأن نبصر الفــرق بــين مفسدين ومتلفين وارتباط ذلك بالسياق والمقام .

٢ــ دراسة القيد من حيث هيئتــه مــن تعريــف وتنكيــر، واصطفاء صيغة صرفية على أخرى كأن يحاول الكشف عن السر في مجيئ الحال في الآية السابقة اسم فاعــل بــدل أن يكون فعلا .

٣ــ دراسة القيد من حيث موقعه ، ولم جاء مــؤخرا وكــان يمكن أن يقال: ولا تعثوا مفسدين في الأرض .

٤ــ الكشف عن تناغم القيد موضوع البحــث مــع القيــود الأخرى والأركان في التظاهر على بيان المعنــى الخــاص للآية والمعنى الخاص للسورة والمعنى العام للــذكر الحكــيم كله، فالذكر الحكيم كله سياق واحد.

الآيات موضوع البحث

(١) ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة: ٣١]

(٢) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [البقرة: ١٦١]

(٣) ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥-٨٧]

(٤) ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٩]

(٥) ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ

ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

(٦) ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٩]

(٧) ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨]

(٨) ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٤]

(٩) ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٩]

(١٠) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣]

(١١) ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس: ٩٩]

(١٢) ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود: ١١٩]

(١٣) ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣]

(١٤) ﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِى يَأۡتِ بَصِيرًا وَأۡتُونِى بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يوسف: ٩٣]

(١٥) ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحجر: ٣٠]

(١٦) ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩]

(١٧) ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢-٤٣]

(١٨) ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الحجر: ٥٨-٥٩]

(١٩) ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر: ٩١-٩٢]

(٢٠) ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النحل: ٩]

(٢١) ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾ [طه: ٥٦]

(٢٢) ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧]

(٢٣) ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ

أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٩]

(٢٤) ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٥]

(٢٥) ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٩،١٧٠]

(٢٦) ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النمل: ٥١]

(٢٧) ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة: ١٣]

(٢٨) ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥١]

(٢٩) ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس: ٣٦]

(٣٠) ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٤]

(٣١) ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [ص: ٧٣]

(٣٢) ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص: ٨٢]

(٣٣) ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص: ٨٤-٨٥]

(٣٤) ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزخرف: ١٢]

(٣٥) ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥]

(٣٦) ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الدخان: ٤٠]

(٣٧) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨]

(٣٨) ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القمر: ٤١-٤٢]

(٣٩) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩]

١ـــ **مقام تأكيد الامتنان بالإنعام**

١ـ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]

٢ـــ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس:٣٦]

٣ـ ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٢]

ورد القيد (كلها) في سياق حديث القرآن عن تشريف آدم عليه السلام والآيات من قوله ــ تعالى ــ (وإذ قال ربك . . .) إلى نهاية قوله (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم . . .) (البقرة/٣٠:٣٣)من خصائص سورة البقرة، وهي تنادي على مقصد السورة الكريمة التي تتظاهر تراكيبها عليه وهو " إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال

وأعظم ما يهدي الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بـــالآخرة" (١)

وقد جاء تعليم آدم الأســـماء كلهـــا ردا علـــى حجـــة الملائكة، التي يوهم ظاهرها علمهم بالغيب (أتجعل فيها من يفسد فيها) وفي الرد تشريف له عليه السلام بعلم ما لا يعلمونه؛بيانا لقصور حجتهم، وللقيد (كلها) أثر بالغ في الامتنان علـــى آدم عليه السلام بتشريفه بمعرفة الأسماء كلها، ولو أسقطنا القيـــد لفـــات المقصد والغرض، ولنا أن نبصر فوات الغـــرض لـــو قلنـــا: وعلم آدم الأسماء، أرأيت كيف ضاع الـــشمول الـــدال علـــى عظم المنة، فليس المراد تعليمه أسماء ، ولكن المراد تعليمـــه الأسماء كلها، ألا تراه قال بعد ما أنبأهم (ألم أقل لكـــم إنـــي أعلم غيب السموات والأرض . . .) (البقرة/٣٣) وقد لحـــظ أبو حيان أن الآية موضع الشاهد جاءت تفصيلا لوجه الحكمة في خلق آدم بعد ما مضى إجمالا (إني أعلم ما لاتعلمـــون) فتبين لهم من فضل آدم ما لم يكن معلوما لهم، وأن الجـــواب الإجمالي قد أكده الجواب التفصيلي [٢] وتابعه أبو السعود. [١]

([١]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢٤/١، ط،دار الكتب العلميـــة ، بيروت ١٩٩٥م.

([٢]) البحر المحيط ٢٣٤/١ لأبي حيان الأندلسي ، ط دار الفكر ١٩٩٢م.

والملائم للتأكيد هنا لفظ (كل) لدلالته على الشمول، كما أن التأكيد هنا ملائم لما اختص به السياق من ذكر خلافة آدم، وللخلافة مقتضياتها، وقد عني القيد هنا بإظهار " أحقيته بالخلافة منهم عليه السلام لما أن جبلتهم غير مستعدة للإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات الجسمانية خبرا، فمعنى تعليمه إياه أن يخلق فيه، إذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا بأسماء جميع المسميات وأحوالها" [2] وقد نص ابن عاشور على أن (كلها) تأكيد لمعنى الاستغراق لئلا يتوهم فيه العهد فلم تزد كلمة (كل) العموم شمولا، ولكنها دفعت عنه الاحتمال"[3] وعليه فالقيد هنا يرفع احتمال عدم الشمول؛ لذا اتفق السلف على أنه ﷺ علم آدم أسماء كل شئ حتى السوط والجفنة والمحلب، قال القرطبي: " وقد روي هذا المعنى مرفوعا، وهو الذي يقتضيه لفظ (كلها) إذ هو اسم موضوع للإحاطة والعموم " [4]

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٨٣/١ للعلامة أبي السعود ،ط، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ .

([2]) السابق ٨٤/١ .

([3]) التحرير والتنوير ٤٠٩/١ للطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية ١٩٨٤م.

([4]) الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١ للقرطبي، ط دار الريان للتراث ،دون تاريخ .

والآيتان الأخريان واردتان في سورتين مكيتين، وقد اتفقت السورتان (يس والزخرف) في ترتيب النزول،وترتيب المصحف، فسورة يس هي الواحدة والأربعون نزولا، وسورة الزخرف هي الثالثة والستون نزولا، وقد وردت آية يس في سياق يقارب سياق آية الزخرف، فقد ذكر البقاعي أن السياق في سورة يس " لإثبات الوحدانية والإعلام بأن ما عبد من دونه لا استحقاق له في ذلك بوجه، ولا نفع بيده ولا ضر، وأنتج هذا السياق ــ بما دل عليه من تفرده بكل كمال وأنه لا أمر لأحد معه بوجه من الوجوه ــ تنزهه عما ادعوه من الشرك غاية التنزه قال ــ لافتا للكلام عن مظهر العظمة ــ لأن إثباتها بالرحمة الدال عليها أدخل في التعظيم (سبحان الذي...)" [1]

وقد ذكروا أن الآية " استئناف مسوق لتنزيهه ــ تعالى ــ عما فعلوه من ترك شكره ﷻ واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته، وأسرار حكمته، وروائع نعمائه

---

(1) نظم الدرر ٦/٢٦١.

الموجبة لشكره تعالى" [1] وقد وقعت الآية عقيب استفهام إنكاري (أفلا يشكرون) (يس/٣٥)

وقد وقع التوكيد المعنوي (كلها) قيدا في الآية الكريمة لإفادة التعميم، والتعميم هنا دال على تمام القدرة، والتفرد بالخلق كله دقه وجله، وكما لاءم القيد ما قبله آنس ما بعده حيث جاء القيد بالمجرور بعده شاملا مستوفيا (مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) فقد بنيت آيات القدرة والتفرد على العموم والشمول، ولو أسقطنا القيد(كلها) لفات المقصود، ولتنافر التركيب مع ما قبله وما بعده، فقد وقعت الآية الكريمة في سلسلة آيات متتابعات كلها تتظاهر على وصف قدرته ﷻ وامتنانه على عباده؛ تحقيقا لمقصود السورة الأعظم، وهو إثبات الرسالة ، وقد جاء القيد موفيا بحق مقصود الآية، ومقصود السورة الذي مضى بيانه.

وليس سياق آية الزخرف بعيدا من سياق سورة يس، فالأولى معنية بإثبات الرسالة، والثانية معنية بسوق البشارة،بعلو شأن أمة محمد ﷺ صاحب تلك الرسالة، وإثبات

---

(1) إرشاد العقل السليم ١٦١/٧ ، وروح المعاني للألوسي ١٠/١٢ ط، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٤م.

البعث من طرائقه بيان عظيم الامتنان، كما أن الآيتين وردتا بعد ذكر البعث (كذلك تخرجون)(الزخرف/١١) وفي يــس (وإن كل لما جميع لدينا محضرون)(يس/٣٢) لذا اختــصت السورتان بهاتين الآيتين .

وقد وردت آية الزخرف في سياق إثبــات تفــرده ﷻ بالخلق والامتنان، يستظهر ذلك من تصافح عينه أنوار الذكر الحكيم، ويبصر الآيات المتتابعات من قوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض. . .) إلى نهاية الآية التي تلي الآية محل الشاهد ، وقد علق البقاعي ــ رحمه الله ــ على القيــد (كلها) فقال : " من النبات والحيوان وغير ذلك مــن ســائر الأكوان لم يشاركه في شئ منها أحد" [1] وقد وقعــت الآيــة عقيب الحديث عن البعث (والذي نزل من السماء ماء بقــدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون)(الزخرف/١١) فوقعــت الآية بعدها؛ تأكيدا لقدرته ﷻ عل بعثهم وإعادتهم، فكأن الآية محل الشاهد؛ جاءت تأكيدا بالحاضر على الغائب؛ وإظهــارا لقدرته ﷻ عل ردهم بعد صدهم، وقد علق أبو السعود علــى قوله(كذلك تخرجون) بما يكشف عن السياق، إذ يقول " وفي

([1]) نظم الدرر ١٠/٧ .

التعبير عن إخراج النبات بالإنشاء الذي هو إحياء المــوتى، وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهــوين لأمــر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس"[١] ولــو أسقطنا القيد (كلها) وقلنــا : والــذي خلــق الأزواج وجعــل لكم . . . لفات المقصود كله، فالقيد في الموضعين هو منــاط الفائدة .

وربما كانت دلالة هذين القيدين ماثلة في ذهن أعيــان المفسرين حــين تــأولوا معنــى الأزواج بأنهــا الــضروب والأنواع، ثم ألح عليهم مكان القيدين مــن الــنظم ففــسروا الأزواج بأنها كل ما سوى الله ﷻ [٢] والذي أبصره أن ذلــك من إتباع المفعول به (الأزواج) بالتوكيد المعنوي، ولا يعكــر على هذا الفهم أنه ذكر بعد القيد في سورة يس (مما تنبــت الأرض ومن أنفسهم) وما يدل عليه من التخصيص الذي يأباه ما ذهبوا إليه من التعميم، ذاك أنه بعد التخصيص عمم فقــال (ومما لا يعلمون).

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤٠/٨ .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣٦١/٩، إرشــاد العقــل الــسليم ٤٠/٨، روح المعــاني ٦٧/١٣ .

مقام تأكيد الامتنان بالنجاة

١ـ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩ ﴾ [الحجر: ٥٨-٥٩]

٢ـ ﴿ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝٦٥ ﴾ [الشعراء: ٦٥]

٣ـ ﴿ وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٣٣ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝١٣٤ ﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٤]

ورد القيد في المواضع الثلاثة بـ (**أجمعين**) لأن نجاة الكل في آن واحد أظهر للمنة، وأثلج للصدر، ولو جاء القيد (**كلهم**) لما صلح، ولما لاءم مقام الامتنان بالنجاة؛ لأنه وإن أفاد العموم إلا أنه لا يفيد معه الاجتماع الذي في القيد الوارد في المواضع الأربعة، وقد وردت الآيات موضع القيد في سور متقاربة نزولا، فالحجر هي الرابعة والخمسون نزولا، والشعراء هي السابعة والأربعون نزولا، والصافات هي السادسة والخمسون نزولا، وكل ذلك مما يلائم حال النزول من تسلية المؤمنين حال استضعافهم في مكة، ويلائم

كل زمان يشبهه من حـال المـسلمين، وكـل ذلـك تبـشير للمؤمنين المستضعفين بالنجاة من عدوهم وظهورهم عليه.

وقد وردت موطنان منها في قوم لوط عليه السلام ومـوطن واحد منها في موسى عليه السلام ومن معه، وفـي سـورة الحجـر بشارة بنجاة لوط وأهله أجمعين، وفي الـشعراء والـصافات إخبار بتحقق البشارة، والملحوظ أن السور الثلاث تقاربت في إيراد قصص النبيين، واخـتص بعـضها ببـسط، واخـتص بعضها بإيجاز، وجاء كل ملائما سياقه.

والقصص قائم في السور الثلاث على الكـشف عـن عاقبة المؤمنين، وعاقبة الكافرين من الأمم السابقة على وجه التقابل، ومثل هذه السياقات يلائمها إعلاء البشارة، والتوكيـد على النجاة من وسائل إعلاء البشارة، وقد جـاء القيـد فـي سورة الشعراء ملائما مقصودها، وهـو " إظهـار الـبطش والنقمة" [(١)] وذلك ببيان حال الـضد ممـن انـتقم الله مـنهم بشمولهم برحمته، وعمومهم بمنته، والمهـم أن القيـد فـي المواطن الأربعة جاء ذروة الامتنان على المؤمنين بالتأكيـد عل نجاتهم أجمعين.

---

(١) نظم الدرر ٥/٤٠٥ .

مقام تأكيد إظهار المنة

﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

[يوسف: ٩٣]

ورد القيد في سورة يوسف، وهي الثالثة والخمسون نزولا، والسورة بشارة للنبي ﷺ بما يكون عليه من علو شأنه، وظهور أمره، وتمكينه في الأرض كما حدث لأخيه يوسف عليه السلام وقد جاء القيد (أجمعين) " تأكيدا للأهل، أي : بنسائكم وذراريكم ومواليكم" [١] والتأكيد هنا ذو أثر بالغ في إظهار المنة والتحدث بالنعمة؛ لشمولهم بالإحسان مكينا، على الرغم من مناصبتهم إياه العداء ضعيفا صغيرا، والقيد هاهنا بما له من دلالة على الاستقصاء والشمول، دال أيضا على أن هذا الشمول في آن واحد، وليس المراد الشمول المتتابع المتتالي الذي لا يكون أدخل في الفرحة ولا أظهر للمنة، وإنما المراد الشمول المتحد المجتمع، وذلك هو الألصق بمقام إظهار النعمة؛ لذا لا يليق بالمقام أن يقال : وأتوني بأهلكم كلهم، لأنه لو قيل ذلك لسمح بمطل الزمن في المجيئ،

---

(١) الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٨٠ للشيخ الجمل ، ط عيسى الحلبي دون تاريخ .

واستقصاء الأهل بالمجيئ في زمن متطاول، وهو متعــاكس مع مقام إظهار النعمة، لكن القيد جاء (أجمعين) دفعا لمطــل الزمن، فكأنه أريد به شمول الأفراد ، واتحاد الزمن وذاك هو الأعلى والألصق برحلة سياق السورة التي تتسارع تراكيبهــا لإظهار الرؤيا التي وردت في مفتتح السورة الكريمة (إنــي رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ســاجدين) (يوسف/٤) وقد تحققت الرؤيا بعد أن طلب حــضور الكــل بالتوكيد بــ (أجمعين) على وجه يحقق الرؤيا كما رآها،وإلا انخرمت الرؤيا، وقد تحقق ما ذكر في الآية الرابعة في الآية المائة ، وكانت الآية ذات القيد مليحة بذلك (ورفــع أبويــه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤيــاي من قبل قد جعلها ربي حقا . . .) (يوسف/١٠٠) أرأيت أنه كان لا يصلح لتحقيق هذا المشهد المهيب إلا أن يكون القيــد (أجمعين) وكيف كان القيد أصلا في الفائــدة، وتنــاغم مــع السياق من بين يدي الآية ومن خلفها؟! فلله نور هذا الكتاب .

مقام تأكيد البشارة بإظهار الإسلام على كل دين

١ــ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣]

٢ــ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨]

٣ــ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩]

ورد القيد في المواطن الثلاثة، وفيها فقه بديع ، فقد جاء ترتيبها في المصحف الشريف (التوبة ــ الفتح ــ الصف) وجاء ترتيبها في النزول على عكس ترتيبها في المصحف (الصف ــ الفتح ــ التوبة) فسورة الصف هي التاسعة بعد المائة نزولا،وسورة الفتح هي الحادية عشرة بعد المائة نزولا، وسورة التوبة هي الثالثة عشرة بعد المائة نزولا، وقد كان ترتيب النزول ملائما للحال حيث ترقى

ظهور الإسلام على كل الديانات من الأدنى إلى الأعلى ، وكان ترتيب المصحف الشريف من الأعلى إلى الأدنى على عكس ترتيب النزول؛ إشارة إلى ما يكون عليه الإسلام بعد عهد النبي ﷺ من التدرج من الأعلى إلى الأدنى ، فتعانق الترتيبان في الكشف عن أطوار ظهور الإسلام عبر الزمان كله.

وقد وقعت الآيتان محل القيد في التوبة والصف عقب مقالات لليهود والنصارى في التوبة، ومقالات للنصارى في الصف بالاستعارة (ليطفئوا نور الله بأفواههم) وصفا لتظاهرهم على إطفاء نور الإسلام، ووقعت في الفتح عقيب الحديث عن صد الكافرين المؤمنين عن المسجد الحرام فاجتمعت المواضع الثلاثة في أنها رد على حربهم، وصدهم المؤمنين بالبشارة بتمام النصرة لهذا الدين على الأديان كلها، وقد وقعت آية التوبة كالبيان لقوله من قبل (ويأبى الله إلا أن يتم نوره . . .) (التوبة/٣٢) كما ذكر البيضاوي [1] وقد وصف دين الإسلام بأنه دين الحق في المواضع الثلاثة، وقد

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢/٣٣١، بهامش حاشية زادة ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ.

وقع إظهار دين الإسلام على الأديان كلها علة لإرسال الرسول ﷺ وقد وقع التوكيد المعنوي دلالة على شمول كل الأديان في ظهور الإسلام عليها، وفي ذلك من تأكيد البشارة ما فيه، وقد نزل ذلك عقيب مراحل من انتصارات المسلمين، وإقامة دولة الإسلام، وقد وردت الأحاديث دالة على انتصار المسلمين من بعد ذلك على الفرس، ثم الروم ناظرة إلى هذه الآيات الكريمات .

والقيد هنا يؤكد على عموم البشارة لسيادة الرسالة، وتطبيق نور الإسلام بقاع الأرض، ولو سقط القيد لضاعت هاتيك المعاني وهو ما تأباه سياقات الكتاب والسنة والتاريخ من بعد نزول الآيات، فالقيد في المواضع الثلاثة تنسجم معها البشارات الواردة في الكتاب والسنة، وصدقها التاريخ من بعد ذلك .

ولقد كان هذا القيد بما يحمله من علو البشارة شارحا صدر السلف للجهاد الحق؛ نصرة لدين الله الحق، فلم ترهبهم كثرة عدد، ولا قوة عدد؛ ذاك ليقينهم وفقههم عظم البشارة، وقد ذكر العلماء أن معنى (ليظهره على الدين كله) أي: على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر دين الحق على كل دين،

وهذا المعنى هو العلة في القيد،وأن الجملة الوارد فيها القيد وقعت بيانا وتقريرا لمضمون الجملة السابقة، والتقرير من أغراض التوكيد المعنوي، كما أن القيد كان داعيا لعدهم اللام في الدين للاستغراق [1] إجراء للكلام على نسيج واحد وتآزرا في التأكيد على البشارة بعلو الدين.

وقد تأول البقاعي القيد (كله) مبصرا السياق فقال:" فلا يبقى دين إلا كان دونه، وانمحق به وذل أهله له ذلا لايقاس به ذل" [2] وقال الألوسي : " وفي الجملة فضل تأكيد لما وعد الله ــ تعالى ــ به من الفتح " [3]

وسياقات السور الثلاثة متقاربة في مقاصدها؛ لذا اختصت بورود الآية محل القيد فيها دون سواها، فتراكيب سورة التوبة تتظاهر على بيان مقصودها الذي ورد في مطلعها وهو " معاداة غير الموحدين" [4] لإظهار دين الحق

---

(1) ينظر : الكشاف للزمخشري ١٨٦/٢، ط مصطفى الحلبي ١٩٧٢م، إرشاد العقل السليم ١١٢/٨، الفتوحات الإلهية ٢٧٩/٢ ، روح المعاني ٢٧٨/٥ ، التحرير والتنوير ٢٠٢/٢٦.

(2) نظم الدرر ٥٨٤/٧.

(3) روح المعاني ٢٧٥/١٣.

(4) نظم الدرر ٢٥٥/٣ .

على الدين كله، وسورة الفتح مقصودها " مدلول اسمها الـــذي يعم فتح مكة، وما تقدمه من صلح الحديبيـــة، وفـــتح خيبـــر ونحوها، وما وقع تصديق الخبر به من غلب الروم على أهل فارس وما تفرع من فتح مكة المشرفة من إسلام أهل جزيرة العرب، وقتال أهل الردة، وفتوح جميع البلاد الـــذي يجمعـــه كله إظهار الدين على الدين كله، وهذا كله في غاية الظهـــور بما نطق به ابتداؤها وأثناؤها في مواضع منهـــا"[1] وســـورة الصف مقصودها " الحث على الاجتهاد التام فـــي الاجتمـــاع على قلب واحد في جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم بحملتهم على الدين الحق" [2]

مقام التأكيد على وجوب نصر الدين

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٩]

وقع هذا القيد في سورة الأنفال، وهي السورة الثامنـــة والثمانون نزولا وتتظاهر تراكيبها على بيان مقصودها،وهو

([1]) نظم الدرر ١٨٣/٧.

([2]) نظم الدرر ٥٧٠/٧ .

"تبرؤ العباد من الحول والقوة" [1] وقد جاء القيد فـــي الآيـــة الكريمة عاقدا استمرار القتال بظهور الإسلام على كل ديـــن، وقد كشف البقاعي عن مناسبة القيــد فقـــال: " ولمـــا كانـــت (يعني وقعة بدر) قد سرت كتائب هيبتها في القلوب فوجبت أيما وجبت فضاقت وضعفت صدور الكـــافرين، وانـــشرحت وقويت قلوب المؤمنين اقتضى هذا السياق التأكيـــد، فقـــال : (كله لله) " [2] فكان القيد ذو أثر بالغ في دفع المسلمين لسحق الكافرين، وإبادة أعداء الدين دون خوف ولا وجل، ولو سقط القيد لضاع أس المعنى وسنخه، تأمل لو قلت : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، ولو كان كذلك لتأتى الامتثـــال للأمر بنصرة الدين من معركة واحدة.

وقد جاء نظير الآية في سورة البقرة خلوا مـــن هـــذا القيد (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) (البقرة/ ١٩٣) وقـــد أجـــاب الغرناطي عن اختصاص الأنفال بالتوكيد الحصري، وكـــان إبصار السياق هو مسلكه إلى الجواب فقد أبصر سياق الحال

---

(1) نظم الدرر ١٨١/٣ .

(2) السابق ٢١٧/٣ .

حين ذكر أن آية البقرة نزلت في مخصوصين، وهم الذين كانوا بمكة ممن نصب لعداوة رسول الله ﷺ وتعرض بالظلم والتنكيل لمن آمن به، وطردوهم ،وأذن الله لهم في قتالهم، وأورد من سياق المقال في سورة البقرة ما يؤيد مقالته، فالأمر بالقتال لم يرد إلا مقيدا (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم . . .) (البقرة/١٩٥) و(وأخرجوهم من حيث أخرجوكم . . .) (البقرة/١٩١) فالآية هنا واردة في مخصوصين، والكلام مقيد فلم يناسبه الإطلاق والتعميم الحاصل من التأكيد بكل المحرزة للعموم والمقتضية الإحاطة والاستغراق [١] وأما آية الأنفال "فقد سبقت بقوله (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . . .) (الأنفال/٣٨) وهذا بمقتضى اللفظ في كل كافر . . .فلما اقتضت الآية الاستغراق والعموم ناسب ذلك التأكيد المعمم" [٢]

ولابن عاشور وجه آخر في توجيه اختصاص آية الأنفال بالتوكيد وهو أن آية الأنفال أسبق نزولا من آية البقرة فاحتيج فيها إلى تأكيد لئلا يتوهم الاقتناع بإسلام غالب

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ١/٢٦١،٢٦٢ لابن الزبير الغرناطي ، تحقيق د/ سعيد الفلاح ، ط، دار الغرب الإسلامي١٩٨٣م.

(٢) السابق ١/٢٦٢ .

المشركين، فلما تقرر معنى العموم وصار نصا من هذه الآية عدل عن إعادته في آية البقرة؛ تطلبا للإيجـاز [1] وهـو لا يتعاند مع ما قرره الغرناطي، وإنما يتعانق ، فالأول أبـصر سياق الحال والمقال ، والثاني أبصر سياق الحال مـن وجـه آخر، وقد نص أبو حيان على أن ما اختصت به آية الأنفـال زيادة (كله) توكيدا للدين [2] دون أن يبين علة ذلك .

مقام التأكيد على الامتثال

﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥١]

ورد القيد في سورة الأحزاب، وهي السورة التـسعون نزولا، ومقصودها : " الحث على الصدق في الإخلاص فـي التوجه إلى الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق؛ لأنـه

---

(1) التحرير والتنوير ٩/ ٣٤٧ .

(2) البحر المحيط ٣١٩/٥.

عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله"[1] وقد نزلت السورة الكريمة بعدما اكتمل نور الإسلام، وعم ضياؤه الأنام، ولئن كان مقصود السورة الحث على الصدق في الإخلاص، فأولى الناس بالامتثال وأدنى الخلق إلى الإنفاذ أمهات المؤمنين اللائي عاشرنه ﷺ وقبسن من أنواره، ورشفن من عذب إيمانه، وقد جاء القيد في الآية الكريمة نصا على وجوب امتثالهن ظاهرا وباطنا، حالي الإبقاء والمفارقة، والمراد الأعظم أن يكون امتثالهن قلبيا؛ لذلك قال (ويرضين) تناغما مع مقصود السورة، فالصدق والإخلاص، والرضا، كل ذلك في جذر الفؤاد، وقد وقع القيد (كلهن) توكيدا لنون النسوة التي وقعت فاعلا لـ (يرضى) وقد قدم الجار والمجرور (بما آتيتهن) على التوكيد المعنوي (كلهن) لبيان أنه مناط الرضا، والمراد ما يؤتيهن ﷺ من الأجور وغيرها، والآية الكريمة تنادي على قوله ــ تعالى ــ (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا،وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار

---

(1) نظم الدرر ٦٧/٦ .

الآخرة فإن الله أعــد للمحــسنات مــنكن أجــرا عظيمــا) (الأحزاب/٢٨،٢٩) .

وللتوكيد هنا موقع بديع كشف عنه البقاعي بقوله" ولما كان التأكيد أوقع النفس، وأنفى للبس، وكان هذا أمرا غريبــا لبعده عن الطباع أكد فقال : (كلهن) أي: ليس منهن واحدة إلا هي كذلك راغبــة فيــك راضــية بــصحبتك إن آويتهــا أو أرجأتها"[١] والتوكيد ــ كما ترى ــ ذو موقع عجيب، فلــولاه لتحقق رضاهن بأدنى امتثال، ولما كان عليهن لوم إن سخطن بعض السخط، ولكنهن ــ رضي الله عــنهن ــ كــن علــى الكمال في الامتثال، لبصرهن بدلالة القيد (كلهــن) علــى أن يكون الرضا على هذا الحد متساويا منهن جميعا؛ لــذا ذكــر ابن عاشور أن القيد إشارة إلــى أن المــراد الرضــا الــذي يتساوين فيه، و إلا لم يكن للتأكيد بــ (كلهن) نكتــة زائــدة فالجمع بين ضميرهن في قوله (كلهن) يومئ إلى رضا متساو بينهن"[٢]

---

(١) نظم الدرر ١٢٣/٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٧٦/٢٢ .

وقراءة القيد بالرفع قراءة الجمهور وقد قرئ بالنصب تأكيدا لضمير النصب في آتيتهن ، والفـراء لا يجيـزه؛ لأن المعنى ليس عليه، إذ كأن المعنى : وترضـى كـل واحـدة منهن، وليس المعنى بما أعطيتهن كلهن، قال النحاس، والذي قاله حسن [1] لأن المطلوب حينئذ أن يكون رضـاهن فيمـا سوى فيه بينهن من العطاء، والذي أبصره أن التوكيد حينئـذ على الرضا بمطلق العطاء منه لكل واحدة مـنهن، لا فيمـا سوى بينهن فيه، والمراد توكيد اجتمـاعهن علـى الرضـا بالعطاء، أيا كان .

مقام التأكيد على استحقاق العذاب

١ـ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾[طه:٥٦]

٢ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القمر: ٤١-٤٢]

---

[1] ينظر : البحر المحـيط ٤٩٦/٨، وأنـوار التنزيـل ٢٥٠/٢، وفـتح القـدير ٢٩٣/٤، وإرشاد العقل السليم ١٠٩/٧ ، والجـامع لأحكـام القـرآن للقرطبـي ٥٣٠٠/٨ .

وردت الآيتان الكريمتان في حق فرعون وقومه، سورة القمر هي السادسة والستون نزولا، وسورة طه هي الرابعة والسبعون نزولا، والقيد الدال على العموم والشمول ورد في الموضعين، كاشفا عن أنه ﷻ لا يعذب إلا بعد استفراغ الأعذار كافة، وفي ذلك من حلمه وعدله ما فيه، ولم يرد هذا القيد توكيدا لتكذيب أحد من الأمم إلا في قصة فرعون، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه أبسط القصص، وأكثرها ورودا في الذكر الحكيم، وآياته التي أتى بها قومه أغزر الآيات؛ لذا اختص تكذيبهم موسى عليه السلام بالقيد الدال على الشمول والعموم الكاشف عن استحقاقهم العذاب، والمعلن عن حلمه ــ تعالى ــ ورفقه بعباده وإمهاله لهم، وقد ورد الموضع الأول في سورة طه، ومقصودها " الإعلام بإمهال المدعوين والحلم عنهم والترفق بهم؛ زيادة في شرف داعيهم ﷺ "[1] وسورة القمر مثال للأخذ، وآية على اقتراب الوعيد الكائن بعد طول الترفق والإمهال، لذا اختصت السورتان بهذين الموضعين، وتركيب الآيتين يشي بترتب الثانية على الأولى، فالقيد في سورة طه يدل على عموم

---

(1) نظم الدرر ٣/٥ .

وشمول إراءة الآيات، والقيد في القمـــر يـــدل علـــى عمـــوم وشمول تكذيبهم، فكان الأنسب لشمول إراءة الآيـــات ســـورة طه؛ لأن مقصودها جار على الترفـــق بالمـــدعوين، وجـــاء افتتاحها معلنا عن مقصودها، والأنسب بسورة القمـــر بيـــان عموم تكذيبهم؛ تناسبا مع مطلعها الدال على اقتـــراب تحقـــق الوعيد والتهديد، كما أن سياقات قصة فرعون ــ لعنه الله ــ في الذكر الحكيم كاشفة عن عتوه وجبروته، فكـــان الملائـــم لسياقات قصة فرعون في الذكر الحكيم بيان شمول وعمـــوم المعجزات التي أتتهم، وبيان شمول تكذيبهم أتى علـــى قـــدر بيان هذه المعجزات فجاء كل على ما يناسب،لو أسقطنا القيـــد في الموضع الأول وقلنا : ولقد أريناه آياتنـــا فكـــذب وأبـــى لأوهم ظاهره عدم الترفق به، وعدم إمهال الله له، وهو غير ملائم للسياق ولا للواقع، و لوجب أن نسقط القيد من ســـورة القمر ، ولو تم هذا لأوهم ظاهر الكلام أنهم أخـــذوا بـــبعض التكذيب فجاء القيد في الموضعين نـــصا علـــى اســـتحقاقهم العذاب بإسقاط كل عذر ممكن لهم؛ لذا قال الألوسي أن القيـــد "قصد إلى بيان أنه لم يبق في ذلك عذر مـــا"[1] ورأى ابـــن

---

(1) روح المعاني ٥٢٧/٨ .

عاشور أن في القيد زيادة تعجيب من عناده [١] وكل ذلك ينطوي تحت لواء الغرض من القيد، وهو بيان استحقاقهم العذاب،وربما يعكر على ذلك إضافة الآيات إلى ضمير العظمة، وقد ذكر أبو حيان " الإضافة تفيد ما تفيده الألف واللام من العهد، وإنما رأى العصا واليد والطمسة، وغير ذلك مما رآه فجاء التوكيد بالنسبة لهذه الآيات المعهودة، وقيل: المعنى : آيات بكمالها، وأضاف الآيات إليه على حسب التشريف كأنه قال : آيات لنا، وقيل : يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتي غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم، وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه، وبين ما يشاهد به [٢]

وذكر البيضاوي أن القيد " تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد على أن المراد بآياتنا آيات معهودة [٣] وعلق الشيخ زادة على ذلك بقوله: " فإن الجمع المضاف يفيد الشمول والاستغراق، وكلها تأكيد لذلك الشمول" [٤]

([١]) التحرير والتنوير ٢٤٢/١٦.

([٢]) البحر المحيط ٧/ ٣٤٤ .

([٣]) أنوار التنزيل ٣/ ٣٢٠ .

([٤]) حاشية محيي الدين شيخ زادة على البيضاوي ٣/ ٣٢١.

مقام التأكيد على استحقاق إبليس المقت

١ـ ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠]

٢ـ ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[ص: ٧٣]

وقعت الآيتان الكريمتان في سورتين مكيتين جاء ترتيبهما في المصحف الشريف على عكس ترتيبهما في النزول، فسورة الحجر هي الرابعة والخمسون نزولا، وسورة ص هي الثامنة والثلاثون نزولا، وهذان الموضعان تفردا عن بقية مواقع التوكيد المعنوي في الذكر الحكيم بتتابع لفظي توكيد (كل ـ أجمعون) وهذا التتابع من خصائص حديث القرآن عن الشيطان، والسياق قاض في الموضعين بأن المقصود من التوكيد التأكيد على استحقاق إبليس المقت، وإن كان التركيب في تأكيد امتثال الملائكة لأمر الله إياهم بالسجود لآدم عليه السلام وقد سئل المبرد عن سر تتابع التوكيدين فقال : " لو جاءت فسجد الملائكة احتمل أن يكون سجد بعضهم، فجاء كلهم لإحاطة الأجزاء، فقيل له : فأجمعون؟ فقال: لو جاءت كلهم لاحتمل أن يكون سجدوا كلهم في أوقات مختلفة، فجاءت أجمعون لتدل أن السجود كان منهم كلهم في وقت واحد،

فدخلت كلهم للإحاطة، ودخلت أجمعون لسرعة الطاعة"[1] وقد نازع البصريون في ذلك إذ ذكروا أن (أجمعون) ككل في إفادة العموم،واستدلوا لذلك بمنع عطفها على كل، فلا يقال (كلهم وأجمعون) كما استدلوا بقوله ـ تعالى ـ حكاية عن إبليس (لأغوينهم أجمعين) (ص/٨٢) لظهور أن لا اجتماع هناك، ورد عليهم بأن الاشتقاق من الجمع يقتضيه لأنه يتصرف إلى أكمل الأحوال، فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر، وهو (كل) لم يكن بد من كونه في وقت واحد، وإلا كان لغوا، وقد زعم البصريون أنه إنما أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص، لكن الحق مع ما ذهب إليه الفراء لموافقته بلاغة التنزيل، ومادامت الإحاطة فهمت من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الأصل، وهو معنى الاجتماع؛ صونا للكلام عن الإلغاء"[2] فقد وقع القيد(كلهم) دفعا لتوهم المجاز، وجاء القيد (أجمعون) لإفادة أن السجود كان في آن واحد منهم كلهم؛ إعلاما بشدة انقيادهم وحسن تأهبهم للطاعة واستعدادهم كما ذكر البقاعي [3]

([1]) الفتوحات الإلهية ٥٤٤/٢، لسان العرب ٣٩١٧/٤.

([2]) إرشاد العقل السليم ٧٥/٥، روح المعاني ٢٨٩/٧،٢٩٠.

([3]) ينظر : نظم الدرر ٤٠٣/٦،٤٠٤ .

وقد جاءت الاستجابة على قدر الطلب، فقد عبر الذكر الحكيم بـ(قعوا) وجاء الجواب بالفاء (فسجد) دلالة على سرعة الاستجابة، وطي الزمن ، وجاء التوكيد متآزرا مع كل ذلك لبيان تمام امتثال الملائكة، وجاء الاستثناء بعد ذلك (إلا إبليس) ليضعه وحده مقيتا ممقوتا، بغيضا منبوذا، وفي ذلك وضع لمن كان على التمام في الامتثال بإزاء من كان على البشاعة في التمرد فضح له، وكشف عن استحقاقه المقت.

<u>مقام التأكيد على اختيار العباد اسحقاقا للحساب</u>

(١) ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٩]

(٢) ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس: ٩٩]

(٣) ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النحل: ٩]

وردت الآيات في سور كلها مكية، فسورة الأنعام هي الخامسة والخمسون نزولا،وسورة يونس هي الحادية والخمسون نزولا، وسورة النحل هي السبعون نزولا، وقد وقع

التوكيد المعنوي في الآيات الثلاثة مناطا للفائدة، وأصلا لهـا، في سياق إثبات اختيار العباد، إذ الاختيـار منـاط الحـساب، والمراد من القيد في سورتي الأنعام والنحل أن الله لـم يـشأ هدايتهم هداية إلجاء وإجبار، لأنه لو كانـت مـشيئته كـذلك لشملت الكل، وما تركت أحدا، وهذا كله توكيد على أن العبـد مختار بين الهداية والغواية،وأن حسابه منوط باختياره.

وفي سورة يونس جاء بالقيد تعقيبا على قصة إيمـان قوم يونس عليه السلام وهي قصة متفردة في الذكر الحكيم فقد آمنـوا جميعا لما رأوا مخايل العذاب، فكانت نمطا علـى مـشيئة الله الجامعة، ووقعت الآية محل القيد عقيبهـا مؤكـدة علـى أن الإيمان اختيار، لا إجبار؛ لذلك عقب على الجملة محل القيـد باستفهام تعجبي(أفأنت تكره الناس حتى يكونـوا مـؤمنين) أي : لم يكن منا إكراه على الإيمان بنا، فكيف يكـون منـك إكراه؟!

والملحوظ في المواطن الثلاثـة أن الـسياق مـشحون بالجدل حول الهداية والضلال، وسورة الأنعام اختـصت دون سواها بالحديث عن اليهود في التحليل والتحريم في الأنعـام، ولحومها بغير إذن من الله، وختم كل ذلك بقوله(سيقول الذين

أشركوا لوشاء الله ما أشـــركنا ولا آباؤنـــا ولا حرمنـــا مـــن شئ . . .) (الأنعام/ ١٤٨) وهذه مخاتلـــة خادعـــة مـــنهم يريدون منها الفرار من الحساب ببيان أنه لم يكن لهم من أمر التحليل والتحريم شئ، وإنما كان كل ذلك بمشيئة الله، فجاءت الآية محل القيد عقيبها ردا لزعمهم، وإقامة للحجـــة علـــيهم، ببيان أن الهداية اختيار لا إجبار، وانه لا مناص من تعذيبهم، ولو سقط القيد(أجمعبن) لضاع المعنى .

وفي سورة النحل ورد في ســياق الآيـــة أن الإنـــسان خصيم مبين، فناسب ذلك السياق إثبات الاختيار للعبـــاد، وأن من اهتدى فباختياره،ومن جار فباختياره، فالقيد ذو أثر بـــالغ في إثبات الاختيار في المـــواطن الثلاثـــة، وكلهـــا ســـياقات مشحونة بالجدل والمعاندة، وفي مثل هـــذه الـــسياقات تـــأتي أساليب التوكيد تقوية للحجة، كما أن ورود القيد يتناسب مـــع مقاصد السور التي ورد فيها، فكلهن مكيات، وهذه الفترة مـــن النزول كثر فيها الجدل حول العقيدة، هذا مـــن حيـــث ســـياق الحال، ومن حيث سياق المقال فإن مقاصد السور الوارد فيهـــا القيد تتقارب فمقصود سورة الأنعام " الاستدلال على ما دعـــا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيـــد بأنـــه الحـــاوي

لجميع الكمالات من الإيجاد والإعدام والقــدرة علــى البعــث وغيره، وأنسب الأشياء المذكورة لهذا المقــصد الأنعــام لأن الإذن فيها مسبب عما ثبت له من الفلــق والتفــرد بــالخلق، وتضمن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أمرها دينا لأنه لــم يأذن فيه، ولا أذن لأحد معه" [١]

وسورة يونس مقصودها : " وصف الكتاب بأنــه مــن عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة، وأنه ليس إلا من عنــده؛ لأن غيره لايقدر على شئ منه، وذلك دال بلا ريب على أنــه واحد في ملكه، لا شريك له في شئ من أمره ، وتمام الــدليل على ذلك قصة قوم يونس عليه السلام بأنهم لما آمنوا عند المخايــل كشف عنهم، فدل قطعا على أن الآتي به هو الله الذي آمنــوا به" [٢]

وسورة النحل مقصودها " الدلالة على أنه ــ تعالى ــ تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص" [٣] ولجل تظاهر تراكيب السور الثلاثة على بيان هــذه المقاصــد اختصت دون سواها بإثبات اختيار العباد بالتوكيــد المعنــوي

---

(١) نظم الدرر ٥٧٨/٢ .

(٢) نظم الدرر ٤١١/٣ .

(٣) نظم الدرر ٢٤٣/٤ .

الدال على الشمول والعموم، وقد ذكر ابن عاشور أن المشيئة المقصودة في الرد عليهم هي الخفية المحجوبة ، وهي مشيئة التكوين، والمشيئة المنكرة عليهم في سياق سورة الأنعام (ولو شاء الله ما أشركنا و لا آباؤنا) هي ما أرادوه من الاستدلال بالواقع على الرضا والمحبة"[١]

وقد ألمع المفسرون إلى أن المنتفي في الخارج مشيئة الكل، وإلا فقد هدى بعضهم [٢] وقد ذكروا أن القيد (أجمعين) للمنفي، لا للنفي فيكون المراد سلب العموم لا عموم السلب [٣] وأن الذي يدور عليه فلك التكليف إنما هو الاختيار الذي عليه ترتب الأعمال التي بها نيط الجزاء [٤]

مقام التأكيد على تفويض الأمر لله ردا لزعم المنافقين

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ١٥٢/٨.

(٢) الفتوحات الإلهية ١٠٦/٢

(٣) ينظر : روح المعاني ٧/ ٣٤٧.

(٤) إرشاد العقل السليم ١٠٠/٥ .

ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ
أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ
ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ
لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي
قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾
[آل عمران: ١٥٤]

وردت الآية الكريمة في سورة آل عمران، وهي التاسعة والثمانون نزولا، والآية ضمن حديث عن غزوة أحد ردا على المنافقين، وهم الطائفة الذين أهمتهم أنفسهم، وقد علل العلماء مجيئ الكلام مؤكدا بأن ذلك ملائم لما جاء في مقابلته إذ قالوا :" وجاء مؤكدا لما أن الكلام الذي وقع هو في مقابلته كذلك" [١] وذلك أن المنافقين زعموا أن الغلبة ليست لله ورسوله، فجاء القيد ردا لزعمهم هذا،وإبطالا لادعاءاتهم، وقد جاءت (من) المفيدة الاستغراق في حكاية قولهم (من شئ) فناسب الاستغراق في حكاية كلامهم الاستغراق في الرد فجاء القيد موفيا بذلك تناسبا مع المقام .

([١]) روح المعاني ٣٠٨/٢ .

وقد ذكروا أن هذه المقالة (يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا) صدرت من معتب بن قشير، قال الزبير بن العوام : غشيني النعاس فسمعت معتب بن قشير يقول: لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا، فحكى القرآن مقالته كما قالها، وأسندت إلى جميعهم؛ لأنهم سمعوها ورضوا بها "[1]

وقد وقعت الجملة محل القيد ردا لعذرهم الباطل؛ وبيانا لعدم احتياج الله ورسوله إلى أمرهم ؛ إظهارا لتمام التفويض، ومقامات الادعاء والزعم تحتاج مزيد تأكيد؛ دفعا للادعاء؛ وإبطالا للزعم، وقد أفادت (كل) أن هذا الأمر " ليس لكم ولا لغيركم منه شئ شئتم أو أبيتم، غزوتم أو قعدتم، ثبتم أو فررتم"[2]

مقام التأكيد على عدم موالاة غير المؤمنين

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ

(1) التحرير والتنوير ١٣٧/٤.

(2) نظم الدرر ١٦٩/٢ .

عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٩]

وقع القيد في سياق جملة حالية، أي: " والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله، وهم مع ذلك يبغضونكم، فما بالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بشئ من كتابكم؟ وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم" (١)

وقد ذكروا أن الكتاب اسم جنس، أي: بالكتب المنزلة، وأكد بصيغة المفرد مراعاة للفظه، كما ذكروا أن ثم جملة محذوفة، تقديرها : ولا يؤمنون به كله؛ ذاك أنهم يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (٢) وهو أولى من تقديرها : ويكفرون هم به كله (٣) وكما حملهم وجود القيد على تقدير محذوف، حملهم أيضا على اعتبار اللام في الكتاب لام الجنس، والقيد هنا ذو أثر بالغ في الحمل على مباغضتهم، والبراء منهم، وقد أحاط بالجملة ذات القيد ــ التي وقعت هي قيدا ــ جمل تظاهرت على حمل المؤمنين على مباغضة

---

(١) الكشاف ٤٥٩/١.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٣١٩/٣، روح المعاني ٢٦٨/٢، التحرير والتنوير ٦٦/٤ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ١٤١/٢.

اليهود أو المنافقين(لا يألونكم خبالا) (ودوا ما عنتم) (قد بدت البغضاء من أفواههم) (وما تخفي صدورهم أكبر) (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) أضف إلى ذلك الجملة المحذوفة عقيب القيد، وفي حذفها إسقاط لإيمانهم عن درجة الاعتبار، ومن بعد ذلك (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وفي القيد(كله) إلهاب للمؤمنين وتهييج لهم على متاركة اليهود والمنافقين والبراء منهم؛ حرصا على إبقاء إيمانهم على وجه التمام كما يفيده القيد .

<u>مقام التأكيد على انتقام الله من الكافرين ترهيبا لسواهم</u>

١ـ ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧]

٢ـ ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النمل: ٥١]

٣ ـ ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥]

وقع القيد في سور ثلاث كلهن مكيات، فالأنبياء هي الثالثة والسبعون نزولا، والنمل هي الثامنة والأربعون نزولا، والزخرف هي الثالثة والستون نزولا، وجاء القيد في آيتي الأنبياء والزخرف؛ تأكيدا على نقمته ﷻ على قوم نوح وقوم موسى بإغراقهم، وجاء القيد بـ (أجمعين) دون كلهم؛ مقابلة للقيد في نجاة موسى وقومه؛ ليدل ﷻ على أن إهلاكهم كان في آن واحد مجتمعين؛ وفي ذلك آية على قوة الأخذ وشدة البطش والانتقام القاهر، ولو جاء (كلهم) بدل القيد المذكور لما كانت له هذه الدلالة، ولأوهم ظاهره شمول الانتقام، ولكن على أوقات، وهو غير ملائم لصفات القهر، وجاء الموضع الثالث؛ تأكيدا على انتقام الله وغضبه على ثمود قوم صالح، وقد جاء عقب حلقة اختصت بها سورة النمل من قصة ثمود قوم صالح (وكان في المدينة تسعة رهط . . .) (الآيات ٤٨:٥٠) وجاء القيد ملائما للرد القاهر(ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون) (النمل/٥٠) لذا علق البقاعي على القيد قائلا: " لم يفلت منهم مخبر، ولا كان في ذلك تفاوت بين مقبل

ومدبر، وأين يذهب أحد منهم أو من غيرهم من قبضتنا أو يفر من مملكتنا"[1] كما جاء القيد ملائما مقصود السورة، وهو " وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين بالفصل بين الصراط المستقيم وطريق الحائرين"[2]

وقد وقع القيد في سورة الأنبياء في سياق قوله ــ تعالى (إنهم كانوا قوم سوء) وهو "تعليل لما قبله، وتمهيد لما بعده"[3] وهذه الجملة في هذه القصة من خصائص سورة الأنبياء ووصفهم بالسوء اقتضى التأكيد على انتقام الله منهم و" إفادة أنه لم ينج من الغرق أحد من القوم، ولو كان قريبا... وهذا تهديد لقريش؛ لئلا يتكلوا على قرابتهم بمحمد ﷺ "[4]

وقد اختصت سورة الزخرف بقوله :(فلما آسفونا انتقمنا منهم) والأسف هو الغضب المشوب بحزن وكدر، وأطلق على صنيع فرعون وقومه فعل(آسفونا) لأنه فعل يترتب عليه انتقام منهم كانتقام الآسف [5] وهذا الاختصاص

---

(1) نظم الدرر ٥/٤٣٤.
(2) نظم الدرر ٥/٤٠٥.
(3) إرشاد العقل السليم ٦/٧٧ .
(4) التحرير والنوير ١٧/١١٤.
(5) التحرير والتنوير ٢٥/٢٣٤.

اقتضى اختصاص السياق بالقيد(أجمعين) تصويرا لعلو الانتقام، وفورة الغضب؛ وكشفا عن أنه أهلكهم " إهلاك نفس واحدة، لم يفلت منهم أحد على كثرتهم وقوتهم وشدتهم، وهذا لا يكون في العادة إلا بعد علاج كثير أو اعتناء كبير " (١)

مقام التأكيد على غضب الله على الكافرين

١ ــ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [البقرة: ١٦١]

٢ - ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥-٨٧]

ورد القيدان في سورتين مدنيتين تقاربتا نزولا، فسورة البقرة هي السابعة والثمانون نزولا، وسورة آل عمران هي التاسعة والثمانون نزولا، وكما تقاربتا في سياق الحال، تقاربتا في مقصديهما، فسورة آل عمران مقصودها:" هو إثبات الوحدانية لله ﷻ (٢) وسورة البقرة مقصودها:" إقامة الدليل

---

(١) نظم الدرر ٣٩/٧.

(٢) السابق ٣/٢

على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال" [1] وأعظم ما يهدي إليه الكتاب الوحدانية، فالسورتان اختصتا بصب الغضب والمقت على المخالفين لما هدى إليه الكتاب من إثبات الوحدانية لله ﷻ وآية البقرة في الكافرين، وآية آل عمران في المرتدين ، وكلاهما أظلم الظالمين، وكان في إثبات لعنة الله عليهم كفاية في المقت والغضب، ولكن النظم الكريم آثر إسناد اللعن إلى الملائكة والناس أجمعين؛ تفظيعا لظلمهم؛ وزيادة في الكشف عن مقت الله، وكأن آية البقرة تفصيل لما أجمل في قوله ــ تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (البقرة/١٥٩) وقد جاءت الآية محل القيد؛ تبيانا وتفصيلا لهؤلاء اللاعنين، وقد أشار أبو حيان إلى لطيفة في المعطوفات (الملائكة والناس) هي أن لعنة الله هي التي تجر لعنة الملائكة والناس، ثم ثنى بالملائكة لما في النفوس من عظم شأنهم، وعلو منزلتهم وطهارتهم، ثم ثلث بالناس لأنهم من جنسهم فهو شاق عليهم؛ لأن مفاجأة المماثل ممن يدعي المماثلة بالمكروه أشق بخلاف صدور ذلك من

---

(1)نظم الدرر ٢٤/١.

الأعلى[1] ثم جاء القيد ليؤكد على هذا اللعن بأنه صادر من الجميع، وهذا يعني أن بشاعة ظلمهم داعية للعنهم من كل من يتأتى من اللعن، كما أن ذكر الناس هنا بدل المؤمنين أسقط غير المؤمنين عن درجة الاعتبار، فالمؤمنون هم الناس ، وليس غيرهم بشئ، قال الزمخشري: " فإن قلت : ما معنى قوله (والناس أجمعين) وفي الناس المسلم والكافر ؟ قلت: أراد بالناس من يعتد بلعنه، وهم المؤمنون ، وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا" [2]

ولقد كان القيد المعنوي حاملا بعض المفسرين على عد اللام في الناس للجنس، وهو ما أورده الزمخشري بصيغة التمريض، وذكره البقاعي بصيغة التقوية، حيث قال " حتى إنهم ليلعنون أنفسهم، فإن الكافر يطبعه على قلبه فيظن أنه على هدى ويصير يلعن الكافر ظانا أنه ليس بكافر"[3] والذي أبصره أنه لا تعارض في الرأي، وأنه يجوز عد اللام للعهد، ويكون المراد المؤمنون في الدنيا، ويجوز عدها للجنس، وذلك في الآخرة حين يصاب الكفار بالحسرة والندم، ويلعنون

---

(1) ينظر : البحر المحيط ٧٣/٢ .

(2) الكشاف ٣٢٥/١.

(3) نظم الدرر ١٢٢/٢ .

أنفسهم، ويلعن بعضهم بعضا، وكان القيد بالتوكيد المعنوي هو المفهم ذلك، والدال على ما يكون هنالك من إظهار بشاعة الظلم، واستحقاق عظيم المقت.

مقام تأكيد الترهيب من العذاب

١ ـ ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود: ١١٩]

٢ـ ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة: ١٣]

السورتان الكريمتان مكيتان نزولا، فسورة هود هي الثانية والخمسون نزولا، وسورة السجدة هي الخامسة والسبعون نزولا، والآيتان الوارد فيهما القيد تقاربتا سياقا، فقد سبقت آية هود بقوله ــ تعالى ــ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) (هود/ ١١٨) وآية السجدة مطلعها (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وقد تقاربت السورتان مقصدا، فسورة هود مقصودها:" وصف الكتاب

بالإحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنذارة"[1] وسورة السجدة مقصودها :" إنذار الكفار بهذا الكتاب السار للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار "[2] فالسورتان متقاربتان مقصدا وسياق التركيبين متقارب؛ لذا اختصت السورتان بالتركيبين الوارد فيهما القيد، الذي جاء ذروة تصعيد القرآن بيانه في الترهيب من العذاب، وقد ذكروا أن (من) في قوله (من الجنة) للتبعيض، وأن (أجمعين) تأكيد لشمول تثنية كلا النوعين، لا لشمول جميع الأفراد؛ لمنافاته لمعنى التبعيض الذي أفادته (من) "[3] وقد ذكروا أن (من) لبيان الجنس،أي : من جنس الجنة والناس [4] وهذا تأويل للقيد بفقه السياق، وهو ناظر لقوله ــ تعالى ــ (وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) (هود/١٠٦) وهذا يعني أن اللام في الجنة وفي الناس ليست للاستغراق؛ لأن السياق العام للذكر الحكيم، والسياق الخاص للقيد يأباه، والسياق مليح بأن الترهيب خاص بالعصاة من الجنسين، وهذا هو ما عليه أكثر أهل العلم، وقد

(١) نظم الدرر ٤٩٨/٣.

(٢) السابق٤٢/٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٩١/١٢.

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٣٤٣/٥.

ذكروا أن التاء في الجنة إما أن تكون للتحقير، وإما أن تكون للمبالغة [1]

وقد رجح الفخر ــ رحمه الله ــ أن يكون القيد (أجمعين) تأكيدا، وضعف أن يكون حالا، وقد بنى كلامه على أن اللام في الجنة والناس ليست للاستغراق، إذ يقول:" ولا يقتضي ذلك دخول الكل كما يقول القائل: ملأت الكيس من الدراهم، لا يلزم أن لا يبقى درهم خارج الكيس [2] والحق في الجواب أن يقال : المراد بلفظ أجمعين تعميم الأصناف، وذلك "لا يقتضي دخول جميع الأفراد كما إذا قلت : ملأت الجراب من جميع أصناف الطعام فلا يقتضي ذلك أن يكون فيه شيئ من كل صنف من الأصناف لا أن يكون فيه جميع أفراد الطعام" [3] والمهم أن القيد في الموضعين قصد به زيادة ترهيب غير المهتدين، وقد صعد القيدان من نبرة هذا الترهيب حيث جمعا الضالين والمضلين في عذاب واحد جزاء اجتماعهم على الغواية.

---

(1) ينظر : روح المعاني ٣٥٨/٦

(2) ينظر : مفاتيح الغيب ٥٥٣/٢٤.

(3) ينظر روح المعاني ٣٥٨/٦.

مقام تأكيد الترهيب من الحساب

١ـ ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣]

٢ـ ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر: ٩١-٩٢]

٣ـ ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الدخان: ٤٠]

ورد القيد في سور تقاربت نزولا، وقد نـزلن جميعا بمكة، وقد اتفقت هذه السور في ترتيب المصحف وفي ترتيب النزول، فسورة هود هي الثانية والخمسون نـزولا، وسـورة الحجر هي الرابعة والخمسون نزولا، وسورة الـدخان هـي الرابعة والستون نزولا، كما تقاربـت الـسور الـثلاث فـي مقاصدها أيضا، فسورة هود مقـصودها:" وصـف الكتـاب بالإحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنـذارة "[1] وسـورة الحجر مقصودها:" وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمـع

([1]) نظم الدرر ٣/٤٩٨.

للمعاني الموضحة للحق" [1] وسورة الدخان مقصودها: " الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة" [2] وقد اتفقت المواضع كلها في أن القيد جاء في جملة وقعت تعقيبا على قصص السابقين وما آلوا إليه بإيجاز في مواطن وبسط في مواطن، والمقصود من الجملة ذات القيد في سورة هود تسلية النبي ﷺ وترهيب قومه العصاة من أن يكون مآلهم في الدنيا والآخرة كمآل من سبق ذكرهم من الغابرين في السورة ، وكلمة الأمر كلمة عامة جامعة؛ لأن اللام للجنس فيها، وكان يمكن أن تكفي في الترهيب، ولكن جاء القيد (كله) للتنصيص على العموم ؛زيادة في الترهيب؛ لأن من كان له مرجع الأمور كلها صغيرها وكبيرها دقها وجلها سرها وجهرها، كان المثول بين يديه رهيبا، وفي التركيب "تعريض بفساد آراء الذين عبدوا غيره؛ لأن من لم يكن كذلك لا يستحق أن يعبد، ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يفرد بالعبادة" [3]

---

(1) نظم الدرر ١٩٩/٤.

(2) نظم الدرر ٦٢٧/٧.

(3) التحرير والتنوير ١٩٤/١٢،١٩٥.

وقد جاء القيد في آية مكونة من عدة جمـــل تظـــاهرت على بيان القـــوة والقـــدرة القـــاهرة (ولله غيـــب الـــسموات والأرض) دلت على أن علمه محيط بجميع الكائنـــات(إليـــه يرجع الأمر كله) دلت على القدرة النافذة والمشيئة (فاعبـــده) دلت على الأمر بإفراد من هـــذه صـــفاته بالعبـــادة الجـــسدية والقلبية(وتوكل عليه) دلت على الأمر بالتوكـــل [1] وختمـــت الآية بما يناسب أولها (وما ربك بغافل عما تعلمون) فالآيـــة تتظاهر على الترهيب، والأمر بالعمل بمقتضيات الترهيب.

وقد جاء القيد في سورة الحجر؛ معليا شأن الترهيـــب من الحساب بعدما عرضت السورة أحوال الغابرين ومآلهم في الدنيا، فجاء ترهيبهم من الحساب عقيب ذلك؛ تأكيدا للترهيب، وفي التركيب مواجهة لمن جابهه ﷺ بالأذى، وحاربه وعاداه، وقد وقع القيد في جملة قسم مما ضاعف من الترهيـــب مـــن الحساب، والقسم مسلط على ما في الخبر من تهديد، وفيه من التشديد، وتأكيد الوعيد ما لا يخفى، والسؤال في الآية ســـؤال توبيخ وتقريع .

---

(1) ينظر : البحر المحيط ٢٣٠/٦.

والآية الكريمة تنادي علـــى قولــه ــ تعــالى ــ(وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل) (الحجر/٨٦) والفاء في في (فوربك) للتفريع عليها كما قال ابن عاشور [١] والقيد هنا دال على قدرته ﷻ وقهره، إذ له القدرة المتفردة على سؤالهم جميعا في آن واحد لا يشغله أحد عن أحد، وفـــي ذلـــك مـــن الترهيب لمخالفيه ﷺ ما فيه.

وقد جاء القيد في سورة الدخان عقيب قصة فرعـــون، وحكاية غضبه ﷻ عليهم، كما جاءت الجملة ذات القيـــد فـــي سياق قوله ــ تعالى ــ (يوم نـــبطش البطـــشة الكبـــرى إنـــا منتقمون) (الدخان/١٦) والإنباء بأن لخلق الـــسموات والأرض وما بينهما حكمة، ومن أعلاها الحساب (وما خلقنا الـــسموات والأرض وما بينهما لاعبين) (الـــدخان/٣٨) والقـــدير علـــى محاسبة العصاة الطغاة من أمثال فرعون وقومه فـــي الـــدنيا، أقدر على حسابهم في الآخرة، وفي ذلك من التهديد لمخالفيـــه ﷺ ما فيه، والجملة ذات القيد تنزل مما قبلها منزلـــة النتيجـــة من الاستدلال، ولذلك لم تعطف [٢] وفي الآية مـــن الإيجـــاز

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٨٧/١٤ .

(٢) التحرير والتنوير ٣١١/٢٥.

والإعجاز ما فيه، ففي تسمية اليوم بـــ (**يوم الفصل**) ترهيب ما بعده ترهيب، وفي جعله ميقاتا لهم تصعيد للترهيب لما فيه من " التنصيص على الإحاطة والشمول، أي: ميقات لجـــزائهم كلهم لا يفلت منه أحد منهم تقوية في الوعيـــد؛ وتأييـــسا مـــن الاستثناء" [1]

مقام تأكيد إبليس ترهيبه بني آدم ، ومجابهة ترهيبه.

١ــ ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨]

٢ــ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩]

٣ــ ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢-٤٣]

٤ــ ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٤-٩٥]

٥ــ ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص: ٨٢]

---

[1] التحرير والتنوير ٣١٢/٢٥

٦ــ ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص: ٨٤-٨٥]

جاء القيد في سور متقاربة نزولا على هــذا الترتيــب سورة ص : هي الثامنة والثلاثون نزولا، وسورة الأعــراف هي التاسعة والثلاثون نزولا،وسورة الحجــر: هــي الرابعــة والخمسون نزولا، وسورة الشعراء : هي السابعة والأربعــون نزولا،وهذا يعني أن السور الأربعة تقاربت من حيث ســياق الحال، وقد كان ذلك في أحلك فترات الدعوة، وإشاعة التأكيــد مناسب لمقامات الترهيب من الشرك بالله، والترهيب من اتباع كل داع إليه، ورأس الداعين إلى الشرك هو إبليس.

وكما تقاربت السور في سياق الحال تقاربت أيضا في سياق المقال، فــسورة الأعــراف مقــصودها : الإنــذار [١] وتتظاهر تراكيبها على بيانه، وســورة الحجــر مقــصودها: وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني الموضــحة للحق [٢] ويلائم هذا المقصود بيان الترهيب الحق من الترهيب الباطل، لذا ورد فيها ترهيب إبليس وترهيــب الله ردا علــى

---

(١) نظم الدرر ٣/٣.

(٢) نظم الدرر ١٩٩/٤.

ترهيبه، وسورة ص مقصودها: بيان أن جند الله هم الغالبون [1] ويلائم هذا المقصود بيان أن ترهيب الله غالب لترهيب الشيطان، وسورة الشعراء مقصودها: إظهار البطش والنقمة [2] ويلائم هذا المقصود الإخبار عن تحقق وعيد الله إبليس وأعوانه بقيد التوكيد المعنوي (أجمعين) لأن ذلك أظهر لبطشه وانتقامه وقدرته التامة " ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه" [3]

القيد هنا ذو أثر بالغ في حمل مراد إبليس من الإرهاب والتهديد لذرية آدم، أما القيد في حديث القرآن عن إبليس فهو حامل ذرية آدم على الحذر الدائب والاحتياط الدائم، والحرص المترقب من إغواءاته وتزييناته ومكائده، ولقد كان القيد هو الوسيلة البيانية الأنسب لمجابهته وكبح جماح إرهابه، ولقد جاء إرهابه تمردا وانتقاما، وجاء إرهابه ووعيده ﷻ عدلا وعقابا؛ حملا لذرية آدم على الاحتراس منه بتخويفهم بسوء المآل عند الاتباع ، غير أن القيد في حديث القرآن عن إبليس يبين أنه منه محض ادعاء بدليل الاستثناء، أما القيد في وعيد

---

(1) نظم الدرر ٣٥٦/٦.

(2) نظم الدرر ٤٠٥/٥.

(3) إرشاد العقل السليم ٢٥٢/٦.

الله ﷻ فمحض قهر واقتدار، وقد جاءت هذه القيود في سياق المحاورة، والمحاورة تقوم على مجابهة الادعاء ودحض الافتراء، وهذا يعني أن القيد جاء ملائما سياقه، وقد جاء القيد في سورة الشعراء إخبارا بتحقق إرهاب الله الشيطان وأتباعه، وقد سبق بتعبير من خصائص السورة (كبكبوا) " والكبكبة : تدهور الشئ في هوة" [1] ويفيد تكرار الحروف في الكلمة " تكرير الكب : أي ألقوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قعرها" [2] وفي ذلك من إهانتهم ما فيه، وجاء القيد (أجمعون) ليؤكد اجتماع الكل في الوقوع تحت هذه الإهانة البالغة، وقد جاء القيد في كل المواطن ملائما سياقي الحال والمقال كما مضى بيانه .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٤٢٠.

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٥١/٦، روح المعاني ١٠١/١٠.

مقام تأكيد إرهاب فرعون للسحرة

١ـ ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٤]

٢ـ ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٩]

ورد القيدان في سورتين مكيتين، وقد اختصت السورتان بالقيدين الواردين في هذين التركيبين المتقاربين دون سواهما لتقارب مقصديهما، فسورة الأعراف تتظاهر تراكيبها على بيان مقصودها الذي يجمله مطلعها، وهو الإنذار [١] وسورة الشعراء تتظاهر تراكيبها على بيان مقصودها، وهو إظهار البطش والنقمة [٢] لذا لم يرد هذا القيد في سورة طه (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) (طه/٧١) لأن مقصودها " الحلم

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٣/٣

(٢) ينظر : نظم الدرر ٤٠٥/٥

والترفق بالمدعوين [1] وقد أبصر الغرناطي أن سياق الأعراف مشحون بالترهيب من مثل قوله ـ تعالى ـ (واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) (الأعراف/١١٦) وأنه قد ناسبه رعيا لفظيا، وتقابلا نظميا تهويل ما توعدهم به فرعون، فعطف بثم لتحرز ما قصد فرعون من تعظيم موقع ما توعدهم به ثانيا في قوله:(لأصلبنكم) وهو في حديثه هذا يفسر سر العطف بثم في الأعراف ، وقد ذكر أن ثم للتباين، لا للمهلة؛ ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله [2] وقد ذكر أبو حيان أن الواو في سورتي طه والشعراء أريد بها معنى ثم [3] وعند ابن عاشور أن ثم على الارتقاء في الوعيد بالصلب [4]

وهذا الاختصاص لسورة الأعراف ناسبه القيد بالتوكيد المعنوي؛ إعلاء للترهيب وزيادة في التخويف؛ وإظهارا للقدرة والجبروت؛ لأن هذا الفعل الشنيع حينما يتوعد به الكل في آن واحد يكون ذلك أدخل للرعب في القلوب، وادعى لهم

([1]) نظم الدرر ٥/ ٣.

([2]) ينظر : ملاك التأويل ٥٧٥،٥٧٤/١

([3]) البحر المحيط ١٤١/٥

([4]) التحرير والتنوير ٥٥/٩.

إلى النكوص والرجوع؛ لأن معنى (أجمعين) " أي: لا أتـــرك منكم أحدا لأجعلنكم نكالا لغيركم" [1]

وقد وقع القيد في جملة وقعت تفصيلا للتهويل الـــذي أجمل في قوله (فسوف تعلمون) [2] وهذا الإجمال وارد فـــي الموضعين فجاء القيد مناسبا لتفصيل التهويل، وقد ذكر ابـــن عاشور أن ثم قد تدل على الترتيب والمهلـــة، ولعـــل المهلـــة "قصد منها مدة كيّ واندمال موضع القطع، وهذا هو المناسب لظاهر قوله (أجمعين) المفيد أن الصلب ينالهم كلهم" [3] لكـــن يرد عليه بما جاء في سورة الشعراء مـــن العطـــف بـــالواو وحملها على التباين أعلى من حملها على المهلـــة، غيـــر أن سورة الأعراف اختصت بثم لأنها في الإنذار، واختص سياقها بزيادة ترهيب ليس في الشعراء، فناســـبت الزيـــادة الزيـــادة، وليس القيد المعنوي مليحا بحملها على المهلـــة؛ لأن المـــراد بالقيد تصعيد الترهيب، وتصعيد الترهيب ينافي المهلـــة فـــي تواتر العذابات، بل إن القيد جاء حكايـــة عـــن اللعـــين فـــي الموضعين؛ دفعا لتوهم عدم شمول عذاباته للكل في آن واحد،

---

(1) نظم الدرر ٣/٨٥.

(2)ينظر: إرشاد العقل السليم ٣/٢٥٩، وروح المعاني ٥/٢٨.

(3) التحرير والتنوير ٩/٥٥

وما يظن من استغراق وقت في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف والتصليب، هذا يعني أنه سيكل بكل ساحر مجموعة من رجاله، فينفذ ما توعد به فرعون السحرة في وقت واحد، وهذا ألصق بمراده من إظهار القوة والبطش والجبروت الداعي إلى تراجعهم عما صاروا إليه من الهداية؛ لذا ذكر البقاعي أن قوله (أجمعين) زيادة في التهويل [1] فقد وقع القيد ذروة التهديد والترهيب في الموضعين، وجاءا متناسبين مع مقصد السورتين وسياق الحال الذي تنزلا فيه وما يشابهه من حال عبر الزمان.

---

(1) نظم الدرر ٥/٣٦١.

الخاتمة

والحمد لله آناء الليل والنهار، على عونه علـــى هــذا الإبحار، وتوفيقه إلى مشاهد الأنوار، في كلام العليّ القهــار، والصلاة والسلام على من جاء بالتبشير والإنذار، صلاة تمــنح مشارق الأنوار، وتنكشف بها حجب الأستار، وبعد

فقد عايشت الذكر الحكيم مبحــرا فيــه بقيــد التوكيــد المعنوي محاولا كشف أسراره، وإماطة اللثام عــن أســتاره، وانتهت رحلتي من بعد طول مسيرتي إلى نتائج منها:

<u>أولا</u> : أن التوكيد المعنوي وقع في تسعة وثلاثين موطنا مــن الذكر الحكيم، وقد وفي في كل المواطن بحــق المقــام، ولاءم سياق حال النزول، وكل حال يلائمه عبر الزمان .

<u>ثانيا</u> : أن لسياق الحال والمقال أثرا بالغا في اســتكناه أســرار التقييد بالتوكيد المعنوي، وكل ميدان للبحث البلاغي لاغنى فيه للباحث عن إبصار السياق في استخراج الأسرار البلاغية.

<u>ثالثا</u> : أن التوكيد المعنوي وقع في مقامات متنوعة، وجاء فيها كلها ذروة تصعيد القرآن بيانه فـــي التأكيــد علـــى الغــرض المسوق له الكلام ، مثل : تأكيد الامتنان بالإنعــام، والنجــاة، وإظهار المنة، والبشارة بإظهار الإســـلام علـــى كــل ديـــن،

ووجوب نصر الدين، والتأكيد على الامتثال، واستحقاق العذاب،واستحقاق إبليس المقت، والتأكيد على اختيار العباد استحقاقا للحساب، والتأكيد على تفويض الأمر لله ردا على زعم المنافقين، والتأكيد على عدم موالاة غير المؤمنين، والتأكيد على انتقام الله من الكافرين ترهيبا لسواهم،والتأكيد على غضب الله على الكافرين، وتأكيد الترهيب من الحساب، وتأكيد إبليس ترهيبه بني آدم ومجابهة هذا الترهيب، وتأكيد إرهاب فرعون للسحرة

رابعا: أن دراسة القيد الواحد وتتبعه في أي بيان عال باب عظيم النفع، جم المحاسن .

خامسا: أن معظم مواقع التوكيد المعنوي كانت في السور التي أنزلت بمكة، حيث اختصت السور المكية بتسعة وعشرين موقعا، واختصت السور المدنية بعشرة مواقع، وفي ذلك تناسب مع حال النزول، ومع مقاصد السور، وكلاهما مما يحتاج إلى توكيد لأنها مقامات ترهيب وتحذير، وجدل وعناد، كما هو منثور في تضاعيف البحث.

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يغفر به ذنبي، وأن يستر به عيبي، وأن ينير به قبري.

المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي السعود ، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت،دون تاريخ.
- الأطول لعصام الدين الاسفراييني ، ط،المطبعة السلطانية ١٢٨٤هـ .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي بهامش حاشية زادة، ط،دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية، بيروت، دون تاريخ.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ط، دار الفكر ١٩٩٢م.
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط، الدار التونسية ١٩٨٤م.

- تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (مطبوع ضمن شروح التلخيص) ط،دار الكتب العلمية،بيروت،دون تاريخ .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط، الريان للتراث، دون تاريخ.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، ط عيسى الحلبي، دون تاريخ.
- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق الشيخ المرحوم محمود شاكر، ط، الخانجي ١٩٨٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للسيد محمود شكري الألوسي ، ط،دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.

- شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المعاهد الأزهرية، دون تاريخ.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ط عيسى الحلبي، دون تاريخ.
- عدة السالك إلى أوضح المسالك للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية،بيروت دون تاريخ.
- عروس الأفراح لابن السبكي (ضمن شروح التلخيص) ط،دار الكتب العلمية،بيروت،دون تاريخ .
- فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير للإمام للشوكاني، ط،دار المعرفة،بيروت، دون تاريخ.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للشيخ سليمان الجمل، ط، عيسى الحلبي، دون تاريخ.
- فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح، للخطيب الشربيني، ط،مدرسة والدة عباس الأول١٩٠٧م.

- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي، ط،دار الجيل،بيروت،دون تاريخ.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط،دار الكتب العلمية،بيروت١٩٨٢م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله الزمخشري، ط،مصطفى الحلبي ١٩٧٢م.
- لسان العرب لجمال الدين بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير،ومحمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ،ط،دار المعارف.
- مختصر السعد،لسعد الدين التفتازاني (ضمن شروح التلخيص) ط،دار الكتب العلمية،بيروت،دون تاريخ .
- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تقديم د/ عبد الفتاح البركاوي، ط،دار المنار،دون تاريخ.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط،مصطفى الحلبي ١٩٦١م.

- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الـرازي، ط،دار الغـد العربي ١٩٩٢م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحـاد والتعطيـل لابـن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق،د/ سعيد الفلاح، ط،دار الغرب الإسلامي،١٩٨٣م.
- مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس بن زكريا، تحقيق الأستاذ عبد الـسلام هـارون، ط،دار الجيـل،بيروت ١٩٩١م.
- المفتاح للسكاكي ، تحقيق ، نعيم زرزور، ط،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- من أسرار القيد بالحال في الـنظم القرآنـي،د/ محمـد الأمين الخضري، بحث منشور بحوليـة كليـة اللغـة العربية بالقاهرة، العدد الحادي عشر١٩٩٣م.
- مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي (ضـمن شـروح التلخيص) ط،دار الكتب العلمية،بيروت،دون تاريخ .

- نتائج الفكر للسهيلي، تحقيق على معوض، وأحمد عبـــد الموجود، ط، دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٩٢م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهـــان الـــدين البقاعي، ط،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

****

فهرس الموضوعات

****